إقامة الدليل على حِرمة التمِثيل

الإسلام والمسرح

حسن بحراوي

كلية الاداب – الرباط

من بين الأفكار الدخيلة التي استقرت مبكرا في أذهاننا، تحت تأثير دعاية المستشرقين وغلاة المشتغلين بالدين، أن الإسلام قد حرّم ممارسة الفنون البصرية جملة وتفصيلا، ونبذ كل أشكال التعاطي معها، وذلك لأسباب دينية لم يسع أحد الى تمحيصها وبيان خلفياتها. ويهمنا من هذا الموقف المنسوب إلى الإسلام ذلك الجزء المتعلق بتحريم التعبير المسرحي وما يدخل في بابه من تمثيل وتشخيص ومحاكاة. ونبادر إلى القول بأن هذا الرأي، المنحول على الاسلام، مردود من عدة وجوه أهمها:

1- خلوّ النص القرآني من أية إشارة صريحة لتحريم الممارسة المسرحية و متعلقاتها..

2- سحْب موقف الإسلام من التصوير والنحت، وهو موقف مبرر ومعلل كما هو معروف، على عموم أنماط التعبير الفني المنظورة.

3- أخذ التحذير والدعوة إلى التحفظ والاحتياط المعبر عنها في بعض مصادر الشريعة مأخذا مبالغا فيه وترجمتها إلى تحريم قاطع ونهائي يطال جميع أشكال الممارسة الفنية دون تمييز.

4- اتفاق الدارسين المتخصصين، من العرب والأجانب، بأن الإسلام لم يحرّم الفن علي وجه الإطلاق ولا اعترض على ممارسة المسرح تحديدا و لكنه حرم التمجيد الذي يصل إلى حد العبادة.

وسيكون القصد، في هذه الدراسة، هو الخوض في سيرة الطلاق الشهير، ولكن غير المعلن، بين الإسلام والمسرح الذي أسال الكثير من المداد في هذا الطرف أو ذاك من عالمنا العربي، كما أننا سنبحث في "أسباب عدم تلاؤم الإسلام التقليدي مع الفن عامة ومع المسرح خاصة " مركزين في ذلك أساسا على عرض وجهة نظر الطائفة السلفية الأكثر تشددا في مناهضة التعبير المسرحي واستنكار ممارسته...على أن نعمل لاحقا على مناقشة أطروحتها والرد عليها وبيان خلفياتها الفكرية والأدبية...وسننطلق في هذه

المقالة من رسالة الفقيه المغربي أحمد بن الصديق (1889-1946) المعنونة بـ (إقامة الدليل على حِرمة التمثيل) الصادرة في القاهرة سنة 1941(*).

لقد تنازعت الحركة الإسلامية السلفية بخصوص الموقف اتجاه المسرح فكرتان هما: التحريم بالموضوع والتحريم بالذات. فالقائلون بالتحريم بالموضوع يرون أن " التمثيل مباح وأن حكمه حكم موضوعه، فإن كان شائنا كتمثيل الأنبياء ونحو ذلك فهو ممنوع وإلا فهو مباح". وعلى هذا المبدإ سار سواد رواد الحركة السلفية و الإصلاحية في التعامل مع الظاهرة المسرحية.أما القائلون بالتحريم بالذات فهم أولئك الذين يحكمون بتحريم التمثيل على وجه الإطلاق، فهو عندهم " من أعظم المحرمات وأكبر الكبائر..وأصول الشريعة ناطقة بتحريمه لاشتماله علي أعظم المفاسد وأكبر المحرمات وذلك بالنظر الى ذاته وبقطع النظر عن موضوعاته أو ما يحّفه ويقترن به". وفي الجملة، يمكن القول بأن للموقف المتخذ من المسرح أسبابا عامة وأخرى خاصة تصب جميعها في باب التحريم.

الأسباب العامة للتحريم

1 – إن المسرح من البدع المحدثة وحكمها معروف في النهي عنها" هذه البدعة التي لو نطقت هي نفسها لشهدت بأنها شر بدعة على وجه الأرض ". ومع كونه شر بدعة فهو مما ابتدعه الكفار"فمنكر التمثيل ابتلي به المسلمون بسبب الاستعمار الإفرنجي" والتشبه بالكفار محرم في دين الإسلام كما هو معلوم " ليس منا من تشبه بغيرنا".

2– " أنه من اللهو الباطل واللعب المذموم شرعا وعقلا " حيث يجد الممثلون أنفسهم مساقين إلى تقمص ادوار تحط من إنسانيتهم فيصبحون قردة وخنازير...الخ " فتارة يجعل الممثل نفسه حمارا يمشي علي أربع... وتارة يجعل نفسه امرأة حاملا ذات بطن منتفخة ثم يجلس للولادة... وقد يجعل نفسه مجنونا أو سكران... وهو في كل ذلك يفعل بحواجبه ومناخيره وفمه ولسانه وشفايفه حركات شائنة مشوهة الخلقة". ومن هنا فإن المسرح يدخل في باب "العبث والاشتغال بما لا يعني... وإذا كان مطلق العبث شرا فكيف بهذا العبث المحفوف بالجرائم والمبني على أنواع من الموبقات والجرائم "، كما" أنه من قلة الحياء و الإخلال بالمروءة "، والمقصود أن التمثيلُ مذهب للحياء ودال على فقدان الإيمان وذهاب الدين....

3– ومن ذلك أيضا أن ممارسة المسرح من ضياع الوقت..وهذا أمر منهي عنه خاصة وأن معظم" حفلاته لا تقام إلا بعد العشاء إلى منتصف الليل وقد نهى الشارع عن السمر بعد العشاء إلا لحاجة دينية أودنيوية مباحة".

4– ومن ذلك أنه وسيلة لتبذير المال وإضاعته في الباطل، فإن التمثيل يستدعي الملابس المتعددة والآلات

المختلفة مما ينفق فيه الكثير من المال على غير وجه حق، كما أنه يشجع جمهور المتفرجين علي إهدار أموالهم بلا طائل و" ذلك محرم شرعا".

5- إن من أصول المسرح التي يتركب منها وضع شعر مستعار على الرأس أو الذقن وتلوين الوجه بالمكياج وسواه "وهو حرام ملعون فاعله شرعا".

هذه بعض الدلائل التي يسوقها الفقيه أحمد بن الصديق على تحريم التمثيل بقطع النظر عن موضوعاته و لوازمه و متعلقاته...ونعرض الآن لبعض الأسباب الخاصة التي أوردها المؤلف في باب القول بالتحريم.

الأسباب الخاصة للتحريم

1- من موجبات تحريم المسرح " تمثيل الاشخاص المعينين أوغير المعينين " وقد ثبت في أخبار الصحابة أن الحكم بن أبي العاص الأموي كان يحاكي النبي عليه السلام ويمثله في مشيته وحركاته...فالتفت عليه السلام فرآه ولعنه ونفاه إلى الطائف. واللعن كما هو مقرر" لا يترتب إلا على كبيرة". وقد تنازل النبي عن حقه عندما لم يقتل الحكم المذكور.

وتمثيل الاشخاص يعتبر غيبة واغتيابا ولاسيما في المحافل وأمام الجمهور، وإذا كان الاغتياب باللسان فاحشة " فكيف به في الصورة و الكلام واللباس وسائر الحركات كما في التمثيل." وكل ذلك يؤدي إلى السخرية والاستهزاء بالمسلمين خاصة إذا كانوا من الملوك الأقدمين كملوك بني أمية وبني العباس وملوك الأندلس" ولا يخفى على مسلم أن ذلك حرام " وفيه إذاية وتتبع لعوراتهم " وقد أمرنا الله بالثناء على الموتى والكف عن مساوئهم ". وقد يمثلون علماء الإسلام ورجال الدين بملابسهم وعمائمهم ويلصقون بوجوههم اللحي المصطنعة فيظهرون على هيئة منكرة مزرية و يقلدونهم في كلامهم ونطقهم.."والحاضرون يضحكون وفيهم اليهود و النصارى فيسرّون بذلك غاية السرور في حين أنهم يجلّون أحبارهم غاية الاجلال..." فيكون المقصود بذلك التمثيل هوإهانة العلم والدين التي ينتمي إليه هؤلاء الأشخاص.." وذلك كفر بإجماع العلماء.."وقد يمثلون أولياء الله والصالحين بل والأنبياء والرسل كموسى و عيسى ويوسف عليه السلام.." وفي ذلك منكر كبير".

2- ومن الاسباب الخاصة كذلك ما في التمثيل من كذب وزور " وهو محرم في جميع الملل والأديان" فالممثلون يحلفون بالله في أدوارهم كذبا وبهتانا>وإذا كان الله تعالى يبغض البيّاع الحلاّف فكيف بمن يحلف بالله على الكذب الباطل لا لمنفعة أو شبهة". وقد يدعوهم التمثيل لما هو أعظم من هذا وهو الردة والكفر. فقد يمثل الواحد منهم دور الملك الكافر >فيلبس لباسه ويجعل نفسه هو ذلك الكافر..."وقد يجعل نفسه "راهبا أوقسيسا أو كافرا مسيحيا أو يهوديا أو مجوسيا وذلك كفر باتفاق لأن الرضا بالكفر

كفر كما ورد النص بذلك ".

3- ومن أصول المسرح أنه إذا لم يحضر فيه نساء أن يتشبه بهن بعض الممثلين في اللباس والكلام والحركات والتخنث حتى كأنه امرأة "و ذلك حرام ملعون فاعله". أما إذا كان الممثل امرأة مع الرجال فذلك " أشد حرمة وأفحش خطرا لما يترتب عليه من مفاسد الاختلاط الهدامة للدين والقاضية على الأخلاق كظهورهن للعموم مكشوفات الصدور والذراعين والإبطين والساقين و الفخدين بل وسائر أجسامهن لأنهن يلبسن الثياب الرقاق الشفافة المظهرة لما تحتها مع زيادة تحسين وتجميل...". وقد تنفرد الواحدة منهن بالممثل في بعض الأماكن باعتبارها زوجة له في الرواية " وهي فاجرة أجنبية عنه" وقد يلمسها ويضمها ويقبلها باعتبارها عشيقته" وهو من الفواحش المنكرات والجرائم الموبقات باتفاق أهل الديانات".

والأدهى من كل ذلك أنهم يفعلون ذلك بهن أمام المتفرجة من رجال و نساء" وذلك منتهى الوحشية والهمجية" مع ما يتبع ذلك من " تعليم الشباب من الذكور والإناث الفجور وطرق الاحتيال والمغازلة والحب و كيفية ذلك مفصلة...". وينهي كاتب الرسالة سرد دلائله، العامة والخاصة، بقوله على إيقاع حاسم" وكفي بذلك دليلا على حرمة التمثيل بل ليس هناك باطل على وجه الأرض أبطل من التمثيل".

لقد حرصنا، حتى الآن، على تقديم المادة الجدالية الخام التي عرضتها أمامنا رسالة " إقامة الدليل على حِرمة التمثيل "لصاحبها الفقيه احمد بن الصديق، ولم نشأ أن نتدخل بالتعليق أو التعقيب تلافيا لكل تداخل أو التباس. وسنسعى فيما يلي إلى اقتراح قراءة موضوعية نقارب فيها السياق السوسيوثقافي الذي أنجب لنا هذه الرسالة وذلك في محاولة لإلقاء الضوء على ذهنية المثقف السلفي ذي النزوع التقليدي في مواجهة أشكال الفرجة العالمة الوافدة علينا من الغرب. واذن، سيكون الهدف في هذا القسم من الدراسة هو محاولة إنجاز تحليل موضوعي لمضمونها يكون الغرض منه هو إلقاء الضوء على المرتكزات والخلفيات الفكرية والأدبية الكامنة وراء الموقف المعارض الذي اتخذه الفقيه أحمد بن الصديق من الفن المسرحي كما وفد علينا من الغرب في مستهل هذا القرن.

لو أننا تفحصنا جملة الفنون التي وردت بعض النصوص في النهي عنها لوجدنا أنها كانت تمارس لسببين يذكرهما الإمام محمد عبده هما " اللهو والتبرك، أما الأول فيبغضه الدين وأما الثاني فهو مما جاء الدين لمحوه ". وإذا اختفى هذان الوجهان من الاعتراض وتأكدت المنفعة وترسخت المصلحة، كما في حالة المسرح، بطل كل تحريم، خاصة وأن هذا الأخير لم يرد فيه نص صريح كما تقدم وإنما جرى الحكم عليه استصحابا.

إن ما كان يخشى من هذه الفنون هو الردة والشرك وهما غير واردين في شأن المسرح في صورته الحديثة، وفي ذلك يقول عبد العزيز جاويش في أحد أعداد مجلة الهداية الصادرة في بداية هذا القرن متحدثا عن نسبية تحريم بعض الفنون" إنه ليس المراد تعميم التحريم في كل زمان أو كل أمة، فإنه لا معنى لذلك الحجر متى أمن جانب العبادة والتعظيم اللذين اختص الله بهما ".

ومن هذه الناحية فقد كان أسلافنا محقين في النظر بعين الريبة لفن المسرح نظرا للظرفية الصعبة التي كانوا يجتازونها (حروب الردة، صراع المشركين، مواصلة الفتوح...). فقد كان أمامهم، في فترات الإسلام الأولى، نموذج المسرح الإغريقي الذي تزدهر فيه عبادة الأوثان وتعدد الآلهة إلى جانب مشاهد القصف والعنف والجنس وغير ذلك مما هو متفشي في المتخيل الدرامي اليوناني القديم من تصوير للوقائع المنكرة كزنا المحارم وقتل الأصول ومظاهر التمييز العنصرية والاستبداد...

وإذا كان في هذه الوضعية بعض ما يبرر اعتراض قدماء المسلمين على تبني هذا الشكل من التعبير، الفني فإننا لا نجد في عصرنا الحاضر ما يدعو الى استمرار هذه النظرة الى فن من أرقى الفنون التعبيرية التي عرفتها البشرية ورعتها بالتطوير والتجويد منذ أقدم العصور. وعندما ألف الفقيه أحمد بن الصديق رسالته هاته في ثلاثينات هذا القرن على الأرجح كان قد مر وقت طويل على دخول المسرح الى البلاد العربية الإسلامية بل وكان قد تحول في بعضها إلى تقليد ثقافي راسخ كما في مصر والشام ولم يعد أحد يجرؤ على التساؤل بشأن مشروعيته أو يشكك في وظيفته ودوره الاجتماعيين. وفي المغرب، كانت الطلائع المسرحية الأولى قد أخذت في البزوغ تحت تأثير العروض المسرحية التي كانت تقدمها الفرق الوافدة علينا من المشرق في عدد من الحواضر المغربية كطنجة وفاس والرباط، وكان رجال الحركة الوطنية، بمن فيهم ذوي النزوع السلفي، ينظرون بعين الرضا إلى هذه المحاولات المسرحية الفتية التي كان طلبة المدارس وأشبال الجمعيات يجتهدون في إعدادها بوسائلهم البسيطة، بل إن من بين الوطنيين من بادر إلى الاختلاط بالشبيبة المسرحية لتلقينهم طرق الأداء وتصويب ما يعتور ألسنتهم من أخطاء لغوية ونحوها... (عبد الله كنون، علال الفاسي، عبد الله الجراري وآخرون...)

وحتى تكتمل الصورة، من المفيد الإشارة إلى أن التمثيليات الأولى التي شهدتها هذه الفترة (أواخر العشرينات وأوائل التلاثينات) كانت تتخذ من اللغة العربية الفصحى الوسيلة الوحيدة لمخاطبة الجمهور ولم يكن مطروحا على الإطلاق استعمال العاميات المغربية لأن الاعتقاد الذي كان سائدا في الأوساط المسرحية أيامها، وسيظل كذلك إلى حدود الخمسينات، هو أن التزام اللغة العربية تفرضه الوظيفة التهذيبية للمسرح وتكرسه مهام إذكاء الروح الوطنية وتأكيد الهوية الإسلامية في مواجهة سياسة الاستبداد والتفرقة

(فرق تسد) التي كانت تنهجها السلطات الإستعمارية. ولم تكن الموضوعات التي تتطرق لها هذه التمثيليات تخرج إلا في حالات قليلة عن دائرة التاريخ العربي الإسلامي وثقافته وحضارته وتراثه وذلك استجابة، فيما يبدو، لنفس الهاجس الديني والوطني الذي كان آخذا في التحكم تدريجيا في كل ممارسة ثقافية تسعى إلى التحرر من هيمنة الأجنبي وترسيخ الشعور الوطني. ثم إن طابع الاحتفالي نفسه الذي كان يحيط بالعروض المسرحية، بما في ذلك الخطبة التوجيهية التي كانت قد أصبحت تقليدا متبعا تفتتح به حلقات التمثيل وكذلك الحضور الرمزي للنخبة الوطنية المثقفة، كل هذا كان يزيد في بروز الطابع النضالي لمسرح لازال فتيا ولكنه مشحون بالتطلع والرغبة في العطاء...وأخيرا فليس أمرا مستغربا أن المرأة لم يكن لها وجود على خشبة المسرح لأسباب اجتماعية وتاريخية معروفة.

هذه بإيجاز أهم سمات المشهد المسرحي المغربي إبان ظهور رسالة (إقامة الدليل على حرمة التمثيل) أوردناها على سبيل إيضاح السياق السوسيوثقافي الذي شهد تأليفها ونشرها ولمساعدتنا كذلك على فهم التأثير الضئيل الذي مارسته على مسار الحركة المسرحية الشابة وتفسير النسيان السريع الذي غمرها إلى درجة أن أحدا لم يعد يذكرها.

وقد كان أحمد بن الصديق قد عاد لتوه من الديار المصرية التي عاش فيها ردحا من الزمان (ابتداء من 1907 م / 1339هـ) طالبا في الأزهر يدرس علوم الحديث والتفسير والأصول على الطريقة التقليدية التي كانت تعطي الاعتبار للمتن والسند وتراجم الرواة ولا تأبه للنظر النقدي والتحليلي...

ويبدو أن الرجل خلال مقامه الطويل بمصر ظل مستغرقا في تحصيل العلوم الأخروية معتكفا عن الدراسة والتأليف زاهدا في الانخراط ضمن حركية مجتمع يمر بتحولات (دسائس الأمبراطورية العثمانية، استبداد الإنجليز، حادثة دنشواي...) ومن المحتمل أن يكون انطواؤه وميوله التصوفية قد صرفاه عن تلقي العلوم العصرية وتذوق مزايا المدنية الجديدة، بل وربما يكون ذلك مما قاده إلى العيش على هامش التيارات السياسية والفكرية التي ازدهرت في مصر على عهد أحمد عربي ومصطفى كامل... كل ذلك لم يظهر فيما كتبه الرجل قليلا أو كثيرا وبقي على ديدنه في الانشغال بأمور العبادات كالصلاة والأذان والصوم والمقابر وسوى ذلك مما ملأ به كتبه ورسائله التي تربو على المئة بين مطبوع ومخطوط.

ولا شك أنه واصل سيرته تلك عندما عاد إلى المغرب حيث لزم المساجد ومجالس الوعظ مبتعدا قدر ما يستطيع عن معترك الحياة اليومية التي يكتوي بنارها مواطنوه رازحين في أغلال الاستعمار والجهل و التخلف جميعا. وربما كان الاستثناء اليتيم من بين مجموع ما ألفه الفقيه أحمد بن الصديق هو رسالته التي

نحن بصددها لاشتمالها على موضوع " دنيوي " صرف قلما اتجه الى معالجته الفقهاء ورجال الدين الذين عودونا على إدارة ظهورهم لكل ما هو حياتي ومعاش.

على أن الاهتمام الطارئ لفقيهنا بهذا الموضوع لم يأت عفو الخاطر أو نتيجة وعي مباغت بخطورة الممارسة المسرحية على الحياة الدنيا للمسلمين وإنما جاء في سياق واقعة حصلت له يسردها علينا بطريقة مشوقة في مستهل رسالته المذكورة:

وقد ألجأتنا الضرورة في هذه الأيام إلى الاجتماع ببعض هؤلاء و المذاكرة معه في شأن منكر التمثيل الذي ابتلي به المسلمون بسبب الاستعمار الإفرنجي، واستفحل أمره مع الجهل وقلة المرشد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بل انعدامه (...) فزعم هذا المشار اليه أن التمثيل مباح وأن حكمه حكم موضوعه. فإن كان شائنا كتمثيل الأنبياء ونحو ذلك فهو ممنوع وإلا فهو مباح، (...) فقلت له بل هو في حد ذاته حرام لا يجوز بحال، فقال هذا رأيك الخاص، أما الواقع فهو مباح، فقلت ما هو برأيي الخاص ولكنه رأي أهل الاسلام ومقتضى نصوص الشريعة، فأعاد قوله إنه رأيك الخاص، فأردت أن أذكر له بعض نصوص الشريعة على حرمته إذ رأيته من أجهل الناس بها، فبادر بالقيام خوفا من سماعها أمام الحاضرين لاسيما وقد كان سبق له أن وافق الطلبة على إقامة حفلة التمثيل في نفس المعهد الديني إن لم يكن هو الآمر به، فلما تفرق المجلس طلب مني بعض الأفاضل من الحاضرين وغيرهم ممن لم يحضر وبلغته الحكاية أن أذكر تلك الدلائل التي قد يجهلها كثير من الناس لينتفع بها من أراد الله نفعه فأجبتهم إلي ذلك في هذا الجزء الذي سميته " إقامة الدليل على حرمة التمثيل " فقلت وبالله التوفيق.

يضعنا هذا التقديم الوافي لموضوع الرسالة ودواعي تأليفها على عتبة المشروع النقدي الذي أخذ الفقيه على نفسه الذهاب فيه الى نهايته، متحشما مشاق البحث في المتون والتنقيب في المظان والأسانيد متوسلا بأشكال الاستدلال وأساليب الحجاج ما وسعه علمه وذكاؤه وحيلته، وقد جاء الصيد وفيرا والنتيجة باهرة على غير توقع منه ذلك أنه انتهي إلى العثور على أربعين دليلا في تحريم ممارسة التمثيل: " و قد ذكرنا اشتمال التمثيل علي نحو أربعين كبيرة من الكبائر المتفق عليها مع أدلة تحريمه في حد ذاته من الكتاب والسنة، وبذلك يعلم أن حرمته ليس هو رأينا الخاص كما زعم الشيخ، بل هو رأي أهل الإسلام كافة، لأنه مقتضى نصوص الشريعة من الكتاب والسنة ".

وأخيرا، فإذا ألقينا جانبا حيثيات الموقف الانتقادي الذي اتخذه الفقيه أحمد بن الصديق تجاه التمثيل المسرحي، واتجهنا إلى النظر باستبصار في حقيقة الدلائل التي يسوقها أولا بأول فسيطول مقامنا عندها ولذلك فلا محيد لنا عن التركيز على أبرزها وأكثرها إلحاحا و إثارة للجدل :

1- لم يعد دعاة المسرح الإسلامي في الوقت الراهن ينظرون بعين الريبة الى تشخيص أبطال الإسلام ومن شاكلهم من أولياء وخلفاء وملوك و خاصة بعد أن خلدتهم مسرحيات أحمد شوقي وعلي أحمد باكثير و توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوي وكثيرون سواهم...بل نادى هؤلاء المحدثون بإبراز ملامح الشخصية الإسلامية وتخليصها من الشوائب الخرافية وتشوهات المخيلة الشعبية وبعث الروح فيها لتستعيد تألقها وعنفوانها الثاوي خلف إيهابها التاريخي الذي تقادمت عليه العصور. وهكذا فاستعادة الشخصيات اللامعة في التاريخ الإسلامي، فوق أنه باب من أبواب التجديد المسرحي، فإنه من شأنه أن يكون كذلك مصدرا حيا من مصادر استرجاع الثقة بالنفس ومد المسلمين بمزيد من الأمل و الإصرار على الحياة الحرة الكريمة، ومن هنا لا يوجد هناك ما يسوغ الاعتراض على استلهام أحداث التاريخ واستنهاض شخوصه وأعلامه طالما روعيت في ذلك الدقة و الموضوعية و المعالجة الفنية الراقية.

2- يمانع فريق الدعاة المتشدد في ظهور المرأة منعا مبرما فوق خشبة المسرح بل إن بعضهم ذهب إلى حد الاعتقاد بأن صوتها، مجرد صوت المرأة، يعتبر عورة. وطبعا ليس بوسعنا أن نجادل هؤلاء فيما يذهبون اليه. ولكن يمكننا الاطمئنان إلى رأي أحد أبرز ممثلي التنظير الإسلامي للمسرح في الحقبة الراهنة الذي قدم الرد التاريخي والعقدي على دعاة إقصاء المرأة عن أداء رسالتها على خشبة المسرح.

فلتأكيد جواز التمثيل للمرأة المسلمة يتخذ نجيب كيلاني خطابا إقناعيا بالغ الدقة والسداد بحيث ينتهي عبره إلى إجلاء كل التباس حول مشاركة المرأة في العمل المسرحي. وهو يبدأ باستعراض بعض البديهيات على سبيل التمهيد المنطقي، فالمرأة مساوية للرجل في التكليف الشرعي بدليل مشاركتها، منذ أيام الصحابة والتابعين، في تدبير أمور الحياة العامة، وأنها بهذه الصفة تكون مدعوة إلى الاختلاط الذي لم يمنعه الإسلام على وجه الإطلاق وإن كان ضبطه واشترط له شروطا. و بما أن المسرح الإسلامي يعد شأنا عاما وبالتالي له رسالة و وظيفة مستقاة من القيم الإسلامية الرفيعة فإن تواجد المرأة للقيام بدورها في هذا المسرح يعتبر امتدادا لرسالتها الأساسية الخالدة. وربما كان من باب تحصيل الحاصل هنا الحديث عن الضرورة الدائمة في أن تظل" المرأة المشاركة في المسرح الإسلامي مرتبطة بقيم دينها و آدابه المرعية، بحيث لا تكون مصدر إثارة أو إغراء أو إفساد للمبادئ و السلوكيات والتربية".

وضمن هذه الحدود المرسومة فإن فمن واجب المرأة أن تتواجد باستمرار علي خشبة المسرح لتمثل مختلف الأدوار (المرأة الوفية كامرأة فرعون ومريم، والمرأة الخاطئة كامرأة لوط وامرأة نوح وامرأة العزيز، والمرأة المضحية والشهيدة، الخ). والحقيقة التي لا ينازع فيها أحد اليوم هي عدم ورود أي نهي صريح في تحريم التمثيل على المرأة ومما يجوزمعه القول بالإباحة انسجاما مع المبدأ الإسلامي المعروف (لا تحريم حيث لا

ضرر) أي طالما أمن جانب الفتنة تحققت الحدود الدنيا لالتزام.

أما قول الفقيه بأن المسرح " يجر الممثلات إلى البغاء والفجور إذ لا تكاد توجد ممثلة شريفة العرض طاهرة الذيل بضرورة الحال فإن المرأة ناقصة العقل والدين فاجرة بالطبع."فيمكن الرد عليه على لسان عباس محمود العقاد الذي يوضح في كتابه " التفكير فريضة إسلامية ". ما مفاده أن موضع المراجعة في فن التمثيل الحديث ما ورد في القرآن الكريم من نهيه المرأة أن تتبرج تبرج الجاهلية وأن تبدي زينتها للغرباء إلا ما ظهر منها، أي الوجه والكفان والقدمان لأن في سترها حرج مبين، أما إذا وجدنا بعض الممثلات تقمن بأعمال مشينة فإن ذلك ليس نتيجة ممارستهن للتمثيل ولكنه راجع إلى التربية والأخلاق، بما يعني أن تلك التصرفات نابعة من المواقف الشخصية لا من طبيعة العمل أو المهنة. وعليه فليس التمثيل هو الذي يعلم الرذيلة بل على العكس من ذلك يمكنه أن يسهم في تربية النشىء وغرس القيم السامية فيه عن طريق إشباع عقله ووجدانه بصور النبل والشجاعة والشهامة.

3- من جملة ما يسوقه الفقيه لبيان فساد الممارسة المسرحية مؤاخذته الممثلين على القسم بالإيمان "كذبا وزورا" وقبولهم تمثيل شخصيات الكفار والنطق بعبارات الإلحاد التي تجري على ألسنتهم...وكل ذلك مردود من الوجهة الدينية والفنية معا، ويدل على جهل المؤلف، وهو معذور، مبادئ التأليف الأدبي القائم على الخيال واصطناع المواقف و ما شابه ذلك من أوفاق، كما يكشف عن تشدد لا مبرر له سوى التطرف والمزايدة. والحال، كما يقول الداعية نجيب كيلاني، أن " لغو القسم المنفصل عن النية الصحيحة فيه عدم مؤاخذة من المولى سبحانه وتعالى " وذلك مصداقا لقوله "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان " المائدة.الآية89.

4- وأخيرا يناهض مؤلف الرسالة، عن غير وجه حق، الوظيفة الترويحية للمسرح ويرى فيها هدرا للجهد والمال وطريقا الى إفشاء الفاحشة في القول والفعل...وهو في ذلك ينبو عن الروح الإسلامية السمحاء التي تشيع في السيرة النبوية ويعبر عنها الحديث الشريف " روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، إن القلوب إذا كلت عميت وإذا عميت لم تفقه."

**

* إقامة الدليل على حرمة التمثيل. للحافظ أبي الفيض أحمد بن الصديق. دار العهد الجديد للطباعة، 1374هج،1941 م